النهار
٢٠٠٤/٣/١٢

في سبيل سوريا... بعد ٨ آذار

الزميل مهدي دخل الله من الزميلة "البعث" (الدمشقية طبعاً، فالبغدادية زالت من الوجود كما يذكر) يحب الارقام الدقيقة. ففي معرض تعليقه على الاعتصام - الحدث الذي جرى امام "مجلس الشعب" في ٨ آذار للمطالبة برفع حالة الطوارئ والغاء الاحكام العرفية في سوريا، يكتب الزميل: "كانوا ثلاثين شخصاً فقط (من مدينة عدد سكانها مع المحيط اكثر من اربعة ملايين نسمة) بينهم ديبلوماسي وعدد من الصحافيين الاجانب". لاحظوا الدقة العلمية: المدينة مع محيطها. رئيس تحرير "البعث" لا يرمي الارقام كيفما اتفق، بل يصر على التحديد. وكأن هناك من يناقش السيد دخل الله في ديموغرافية العاصمة السورية، او حتى في عدد الناشطين الذين تجرأوا وترجموا معارضتهم في الشارع!

ليطمئن السيد دخل الله: لا احد يدعي ان الاعتصام - الحدث كان حاشداً. لكن احداً لا يستطيع طمأنته اكثر من ذلك، فهذا الاعتصام الذي لم يكن حاشداً يبقى حدثاً كبيراً، والثلاثون الذين يسخر منهم (كانوا على الارجح نحو مئة) بدوا كفيلين بوضع السلطة القائمة في دمشق امام معضلة لم تعهدها. فاما لا تفعل شيئاً فيتكرس خروج الشارع السوري من الخوف ويُفتح باب الاعتصام والتظاهر شيئاً فشيئاً، وإن من دون اذن رسمي، وخصوصاً ان معتصمي الغد او متظاهريه سيتشجعون بعدما ادركوا ان السفارات الاجنبية، والاميركية تحديداً، تتابعهم عن قرب، واما تنقضّ على هذا التحرك الوليد قمعاً واعتقالاً وتشهيراً، فتعلن للملأ انها لا تنوي تبديل شيء في نمط هيمنتها، وتعرّض نفسها تالياً لمزيد من الضغوط الخارجية.

يأ يكن الخيار، يمكن القول ان اركان "البعث" المتبقي في دمشق ليسوا في وضع يحسدون عليه. في الايام العادية يصعب على المراقب البعيد ان يتصور بدقة كيفية اتخاذ القرار في انظمة الحزب الواحد، فكم بالاحرى حين يكون النظام في وضع استثنائي كما هي الحال في سوريا حيث تتضافر مجموعة من العوامل لتزعزع صورة الثبات الموروثة من حافظ الاسد: سقوط "البعث" الآخر في بغداد، وما رافق هذا الحدث من تحقير، عربي وعالمي، لهذا النموذج السلطوي; ادعاء الولايات المتحدة انها تريد تغيير الانظمة السلطوية في المنطقة او، على الاقل، دفعها في اتجاه الاصلاح والديموقراطية; الازمة الاقتصادية المتفاقمة في سوريا نفسها بفعل الفساد وامتيازات المحاسيب وغياب الشفافية والجمود التشريعي; الكلام الرسمي السوري، مباشرة بعد وفاة الاسد الاب، وخصوصاً على لسان الاسد الابن، حول ضرورة الانفتاح على الرأي الآخر; استعادة المجتمع السوري بعضاً من حيويته من خلال المنتديات والجمعيات الاهلية، رغم الانهاء القسري لما سمي "ربيع دمشق" عام ٢٠٠١; وفوق كل شيء الشعور المتزايد بان السلطة في دمشق هي اليوم اشبه بمحصلة توازنات متحركة بين مراكز قوى مختلفة، وان لا ارجحية واضحة داخلها لطرف على آخر.

ولعل انتشار هذا الشعور، الذي يبدو انه وصل حتى الى بعض السياسيين اللبنانيين القريبين عادة من النظام السوري، كان العامل الاكثر تشجيعاً للمبادرات الجديدة الهادفة الى تحريك ربيع دمشق الثاني، من العريضة المطالبة برفع حالة الطوارئ الى التحركات المرصودة في حلب وصولاً الى اعتصام

النهار
٢٠٠٤/٣/١٢

٨ آذار. في المقابل، ان تراجع "مركزية القرار" داخل دوائر الحكم السوري يفترض فيه ان يزيد من الحيرة التي يواجهها اصحاب القرار، على اختلافهم، ازاء بدايات تحرك المعارضة في الشارع. بل انه يجوز الجزم بأن اركان النظام يمرون في مرحلة عصف فكري (يؤمل ان يبقى محض فكري)، وان لم يكن ممكناً الجزم منذ الآن الى اين ينتهون. فثمة مؤشرات في الاتجاهين: اتجاه الاعتدال يوحيه تعامل السلطة ميدانيا يوم ٨ آذار، رغم التوقيفات الآنية والخطأ المميت المتمثل في اعتقال ديبلوماسي اميركي ومندوب صحيفة "نيو يورك تايمس"، وكذلك مرور ثلاثة ايام من دون حصول حملة اعتقالات واسعة في صفوف المعارضة.

اما اتجاه التشدد، فهو ما تنذر به الافتتاحية التشهيرية التي خطها السيد مهدي دخل الله في "البعث"، فضلاً عن انتقال التشهير ضد المعارضين الى بيروت على لسان احد نوابها (كان قاضياً ذات يوم!) وعلى صدر احدى صحفها، وكأن آلة النسخ بدأت تبث دعايتها تحضيراً للهجمة المضادة. التهمة جاهزة سلفاً، وقد ساقها السيد دخل الله حين نسب ما اعتبره تضخيماً اعلامياً الى "الضغوط النفسية والاعلامية التي تعد استكمالاً للضغوط الخارجية والاجنبية". بكلمات اوضح، ان الذين ينادون بحرية السوريين هم عملاء اميركيون!

لا ريب ان رئيس تحرير "البعث" يؤمن بقدسية الكلمة، وانه ينزع الى تصديق ما يكتبه، وتلك للمناسبة اعجب صفات انظمة الحزب الواحد. فهي لا تقيم اعتباراً لرأي الناس، وتبقى رغم ذلك مصرة على الايحاء انها تراعيه. وعليه، قد يكون ما قاله (وما ردده مقلده البيروتي) ناجماً فقط عن الغريزة اللفظية المترسخة في "البعث". وفي هذه الحال، لا تكون افتتاحيته مؤشراً لاستشراس سلطوي جديد، وهذا افضل بكثير لسوريا ولكل السوريين، بمن فيهم اولئك الذين يجلسون اعلى من السيد دخل الله. فهناك، في المراتب العليا، لا مكان للبلاغة، بل حساب للخسارة والربح. فهل يكون الحساب صائباً هذه المرة، فيرى في ازمة لا تُختصر بالحملة المعادية، الفرصة النادرة لمصالحة سوريا مع نفسها بما يحفظ الامل لجميع السوريين؟

سمير قصير

النهار
٢٠٠٤/٣/١٢

Id-Reference	**04-Pr-000630**	
Media	**(Support)**	HC
Title		في سبيل سوريا... بعد ٨ آذار
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٤/٣/١٢ 12/3/2004
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	مهدي.دخل.الله – حافظ.أسد – بشار.أسد
	Locations	سوريا – ولايات.متحدة
	Dates	2001, 08:03:2004
	Themes	سوريا – احكام.عرفية – حافظ.أسد – دعاية.بعثية – ربيع.دمشق – اعتصام.٨.آذار – جريدة."البعث" – حزب.بعث.عراق – معارضة.سورية – حزب.بعث – ديموقراطية – أنظمة.عربية.سلطوية – مجلس.شعب – معارضة – مهدي.دخل.الله – حزب.واحد – سوريا.نظام – بشار.أسد – اعتقالات.سورية
Subject		